من الإشراقات المعرفيّة

أصالة الرُّوح

الشهيد الشيخ مرتضى مطهّري

لعلّ كثيراً من المسائل العلميّة لا تُطرح على بساط البحث إلّا في الأوساط العلميّة، ولا تَمسّها إلّا أيدي العلماء المؤهَّلين لذلك. ولكن ثمّة مسائل لم تَحظَ بالإهتمام المطلوب، وهي التي يُبحث فيها في كلّ الأوساط وتنالها كلّ الأيدي، فتراها وقد تعرَّضت لتغييرات شتّى، بحيث يَصعب على الطّالب أن يَهتدي إلى الحقيقة في بداية الأمر.

إنّ مسألة الرُّوح والجسم، من تلك المسائل التي لم تحظَ بنعمة الصّيانة، فلا تَكاد تَعثر على إنسان لا رأي له فيها، وهذا لم يكن مجرَّد صدفة، بل هو أمر يَنتهي إلى سبب.

بصدد هذه المسألة، نقرأ نصّاً من الإشراقات المعرفيّة للعلّامة الشّهيد مطهَّري، يُوضح جانباً من أصالة العلاقة بين الرُّوح والجسد، إنطلاقاً من أصالة الرُّوح التي عبّر عنها الوَحْي، والسُنّة الشّريفة، وقواعد الحكمة.

ما أنا؟ وما الكَوْن الذي أنا فيه؟ لا بدّ لِلإنسان مِن إجابة مُقنعة تجاه هذا السُّؤال، فلِأجل ذلك يوجد عند كلّ أحد نوع من المعرفة تجاه نفسه وتجاه العالم.

ولأنَّ مسألة الرُّوح والجسد مِن المسائل الّتي يَتَعرَّض لها كلّ إنسان، فإنَّ كلّاً منّا عندما يبدأ الحياة من أيّام طفولته يَسمع والده ووالدته وجدّه وجدّته، ثمَّ بعد ذلك يَسمع مِن الوُعّاظ ومِن الشُّعراء والخطباء شيئاً ما حول هذه المسألة.

إذاً، مِن المُمكن أن يكون كلّ إنسان عندما تتوجَّه نفسه نحو هذه المسألة مستعدّاً لقبول هذه الفكرة: وهي أنَّ الرُّوح موجود غير مَرْئي، ولمصلحةٍ ما احتَجَبَت تحت سِتار البَدَن، وهي تقوم بتصرُّفات مرموزة تُشبه تصرُّفات الجنّ، وليس البدن سوى ستار ظاهري، وإنّ أصابع الرُّوح هي التي تقوم بتصرُّفات ونشاطات من وراء هذا السِّتار الخارجي.

و لذا، مِن المُمكن أنْ يكون الكثير من النَّاس مُستعدّاً لِقبول مثل هذه الأقاويل، بل البعض منهم مستعدٌّ لِقبول ما تُولِّده في ذهنه أَخيلة الشُّعراء؛ إذ يُصوِّرون له الرُّوح بِصورة (طائر) مَلَكوتي ونِسر مِن سِدْرة المنتهى، أُسْكِن في قفص البَدن بصورة غير منتَظَرة، لأنَّ البَدَن مَسْكَن المحَن والبلايا، والرُّوح مَلِك والبَدن هو القصر الملكي، وقد يَهتمّ هذا الخيال بالقصر اهتماماً بالغاً بينما يَترك نفسه بدون اهتمام.

ليس الغرض هنا هو نقد اللّسان الشِّعري، فإنَّ هذا هو منطق الشِّعر ولا يمكن أن يكون بغير هذا الشَّكل، لأنّ لغة الشِّعر والخطابة غير لغة العلم والمنطق والفلسفة، ولأنَّ الغَرَض الذي يُساق له الكلام في الشِّعر غير الغرض الذي يُساق له الكلام في العِلم والفلسفة، ولأنَّ لسان كلّ فنّ مفتاحٌ لِغرضه، ومِن البديهي أنَّ المفتاح إنَّما يُستخدَم لِلقفل الذي يَختصّ به.

ولأجل ذلك نرى أولئك الذين يَتمتَّعون بِلُغة الشِّعر والعلم، كيف تكون لغتهم في العلم غير لغتهم في الشِّعر.

فمِن ذلك على سبيل المثال لُغة الشَّيخ أبي علي ابن سينا، حيث نرى أنّ لغته في كُتُبه الفَلسفيّة، مثل (الشّفاء)، و(الإشارات والتَّنبيهات)، تختلف ولغته في قصيدته العينيّة المشهورة، والّتي مطلعها:

هبطتْ إليك مِن المحلِّ الأرفعِ
ورقاءُ ذاتُ تعزُّزٍ وتمنُّعِ

نهدف من هذا الكلام إلى أنَّه لا بدَّ لنا مِن الحُصول على معيار نُفرِّق به بين لغة الشِّعر والوعظ والخطابة من جهة، ولغة العِلم والفلسفة من جهة ثانية، حتّى لا نقع في الخطأ الذي لا يُغفر، كما وقع فيه المادِّيّون والمُلحدون.

والحقيقة أنّنا نشاهد في أفكار الفلاسفة أفكاراً تُشبه إلى حدٍّ ما كلام الشُّعراء، كما نُقِل عن أفلاطون قوله: «إنَّ الرُّوح جَوْهر قديم موجود قبل وجود البَدن، يَنزل عن مقامه الشّامخ ويَلِج في البَدن».

هذه هي فكرة الإثنينيّين القائلة بانفصال الرُّوح عن البَدن جوهريّاً، وأنّ علاقة أحدهما بالآخر إعتباريّة وعَرضيّة كالعلاقة

بين الطّائر وعشّه، والرّاكب وما يَركبه، ولا توجد بينهما أيُّ علاقة جوهريّة وطبيعيّة توحّدهما في إطار جوهر موحّد.

وجاء أرسطو بعد أفلاطون فأبطل نظريّته هذه تجاه الرُّوح، وتَنبّه أرسطو إلى أنّ أفلاطون ومَنْ قبله كانوا يَميلون بعض الشّيء إلى الإثنينيّين، فقالوا بانفصال الشُّؤون الرُّوحيّة عن الشُّؤون البدنيّة، ولم يَتوجّهوا إلى وحدة الجسد والرُّوح، وتَنبّه أيضاً إلى أنّه لا يُمكن أن تكون العلاقة بين الرُّوح والبَدن مثل العلاقة بين الطّائر وعشّه أو الرّاكِب ومَركوبه، بل إنّ العلاقة بينهما هي أعمق من ذلك بكثير.

كان أرسطو يرى أنّ بين الرُّوح والبدن علاقة المادّة والصُّورة، -نظريّة الصُّورة والمادّة هذه التي أَبدَعها أرسطو نفسه-، مع فارق واحد: هو أنّ القوّة العاقلة لِكَونها قوّة مجرّدة -صورة- تكون مع المادّة لا في المادّة. ولا يوجد أيّ ذكر في فلسفة أرسطو عن الرُّوح، وهو يرى أنّ الرُّوح حادِثة، وهي في بداية الأمر قوّة بحتّ، وليس لديها أيّ عِلم مُسبَق، بل الرُّوح تقوم بإيصال معلوماتها في هذا العالم مِن القوّة إلى الفعل، ولكن في فلسفة أرسطو وابن سينا لا توجد تلك الإثنينيّة القائمة على الإنفصال بين الرُّوح والبدن كما هي في فلسفة أفلاطون، فلقد وَضع أرسطو نظريّته هذه على أساس المادّة والصُّورة والكَوْن والفساد.

هذه النّظريّة وإنْ كانت تَحتوي على مزايا بالنِّسبة إلى نظريّة أفلاطون، حيث أنّها لا تهتمّ بالإثنينيّة والإنفصال بين الرُّوح والبدن، فإنّها في المقابل تقول بِنَوع مِن الوحدة والوئام الواقعي الجوهري بينهما، إلّا أنّ هذه النّظريّة مُبهمة ولا توضّح كيفيّة الرّبط بينهما، ولا تصوّر العلاقة الطّبيعيّة بين المادّة والرُّوح، ونظريّة الكَوْن والفساد. ولا يَتّسع هذا المُختصَر لِذِكر هذه المُبهمات، لكن كان مِن اللّازم أن تُتّخذ خطوات جديدة في عالَم العِلم والفلسفة حتى يرتفع السِّتار عن وجه هذا اللّغز، أو يُطرَح الموضوع بِصورة معقولة ومقبولة على الأقلّ.

والآن لِنَنظُر مِن أين اتُّخِذت هذه الخطوات؟؟

في أوروبـا أَصبحت المقدِّمات مُتوفّرة للتّحوُّل الفكري والعلمي، والثّورة كانت تَشمل آنئذٍ جميع الجهات، فالثّورة لا تُفرِّق بين الرَّطب واليابس، وهدَّمَت كلّ المباني والأُسُس القديمة، وجاء مفكِّروها وفلاسفتها بِطَرحٍ جديد لِكلّ شيء.

فهذا ديكارت الفيلسوف الفرنسي الشّهير يُقدِّم نظريّة خاصّة حول إثنينيّة الرُّوح والبَدن قد تَعَرَّضت فيما بعد للرَّدِّ والقبول، وهو [ديكارت] يصل في سَيْره الفكري إلى الإعتراف بحقائقٍ ثلاث، هي: الله، النَّفس، الجسم. ولِأجل أنّ النَّفس تتمتّع بالفِكر والشُّعور، ولا تَشمل سائر الأبعاد، ولأنّ الجسم يَشتمل على الأبعاد ولا يَتمتّع بالفكر والشُّعور، فقد اعتَقَد ديكارت أنّ النَّفس والبَدن شيئان مُتغايِران.

والنَّقد الذي توجَّه بِحقّ إلى هذه النظريّة ولِأوّل مرّة من الأوروبيّين أنفسهم، هو أنّ ديكارت تعرَّض لِجانب الإثنينيّة ووجوه الإختلاف والمُبايَنة بين الرُّوح والبدن فقط، ولم يتعرَّض لِجانب العلاقة والرَّبط بينهما، فلم يُوضّح أنّ هذين الموجودَين المُتغايرَين اللّذين وصلا إلى ذروة التّباين عنده كيف تحقّقا في موجودٍ مُوحّد، بينما الأهمّ في هذا المقام أن يُبيِّن نوع الرَّبط بين الرُّوح والبَدن مع ما لهما من خواصّ ومَزايا.

وفي الحقيقة إنّ نظرية ديكارت في هذا الباب مختلفة عن نظريّة أفلاطون، وهذه النّظريّة تعود تُذكِّرنا بالطّائر والعشّ مرّة أخرى، وبما أنّ ديكارت يعتقد بفطريّة التّصوُّرات، ويَرى أنّ النَّفس من الأمور الفعليّة، فإنّ نظريّته تُشبه نظريّة أفلاطون من هذه الجهة، ومن جهة أخرى تَقْصر عنها حيث لم توضّح العلاقة بين الرُّوح والبَدن.

على أنّ لهذه العلاقة بما لها من خواصٍّ ومَزايا، ليست مِمَّا يُمكن أن تُغمَض عنها العيون أو يُكتفى فيها بِذِكر وجوه الخلاف والتّباين بين الجسم والأمور الرُّوحيّة. وقد تَوجَّه العلماء بعد ديكارت إلى كشف السِّتار عن وجه العلاقة بين الرُّوح والبَدن. ومَنْ له إلمام بتاريخ الفلسفة في عصرنا الجديد، يَعلم ما بَذَل الفلاسفة الجُدُد مِن الجهد للكشف عن نوع العلاقة بينهما، وما وَقَع في المسألة من الإفراط والتّفريط حتّى قال البعض: «ليست هذه الظّواهر النّفسيّة إلّا نتيجة طبيعيّة لِتركيب المادّة، وأَنْكَر أيّ إثنينيّة بين الرُّوح والبَدن»، بينما قال آخرون: «إنّ الجسم والمادّة ليسا إلّا ظاهرة من ظواهر الرُّوح، وليس للجسم والمادّة أيّ حقيقة»، وبهذه الطّريقة تمّ القضاء على الإثنينيّة بزعمه. هذا في حين قال البعض مِمَّن أَصابه المَلَل: «إنّ البحث عن هذه المسألة خارجٌ عن طَوْق البشر».

وهكذا، فإنّ البحث في حقيقة صلة الرُّوح بالبَدن، وإنْ لم يَصل إلى مرحلة حاسمة لحدّ الآن، إلّا أنّ الجهد المبذول في هذه المسألة من جميع جهاتها، وبالأخصّ من جهة علم النّفس والفيزيولوجيا وعلم الحياة، قد أَسفَر عن نتائج مدهشة وعظيمة. ومع أنّ المُتخصّصين في هذه العلوم لم يَهتمُّوا بالنّتائج الفلسفيّة لدراستهم، بالنّسبة إلى العلاقة بين الرُّوح والبَدن وماهيّة الرُّوح، إلّا أنّهم مع ذلك قد مَهَّدوا الأرضيّة لِدراسة الموضوع، ونحن نُشير إلى ذلك فيما بعد.

معرفة النّفس والعالم

أيُّ هويّةٍ وراءهما؟

الشّيخ محمّد تقي جعفري

هو الشّيخ محمّد تقي بن كريم الجعفري، وُلد في مدينة تبريز سنة ١٣٤٥ هجريّة، وفي التّاسعة عشرة من عمره قَصَد النّجف الأشرف حيث تلمّذ على كبار الفقهاء والعلماء، ومنهم: السيّد عبد الأعلى السبزواري، السيّد محسن الحكيم، السيّد جمال الدّين الكلبايكاني، وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين.

له عدّة مؤلّفات؛ أشهرُها تفسيره وترجمتُه لنهج البلاغة إلى اللّغة الفارسيّة، وأخرى فلسفيّة وعرفانيّة، ورسالة فقهيّة حول الرّضاع.

تُوفّي قدس سره في ٢٦ رجب سنة ١٤١٩ هجريّة، ودُفن بجوار مرقد الإمام الرّضا عليه السلام في مشهد المقدّسة.

النصّ التالي، مقتطف -بتصرّف يسير- من كتابه (على أجنحة الرُّوح)، من منشورات «مؤسّسة البلاغ».

من دعاء الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة: «**إلهي تَرَدُّدي في الآثارُ يُوجِبُ بُعدَ المَزار، فاجمِعني عليك بخدمةٍ توصلُني إليك**».

كان القلب كَالفرجار يدور في الإتّجاهات كافّة، وهو ثابتٌ في تلك الدّائرة بالرّغم من حَيْرته.

عالَم الوجود يُعلن عن قابليّته ليُتَعرَّف عليه، فما هي وسائل تعرّفنا؟

إنّها الحواسّ الدّاخليّة والخارجيّة والآلات التي يُمكن أن نفهم بواسطتها الظّواهر بشكل أدقّ وأوضح. فهل بإمكان هذه الوسائل والآلات أنْ تَعمل بكلّ أمانةٍ وصدقٍ كيْ نَتَعرَّف على هذه الحقائق؟

طبعاً لا، لأنَّ عدسة حواسّنا وآلاتِنا تَتَلَوَّن بتَصوُّراتنا عن ظواهر عالم الوجود. فنحن نَنْظر بمثل هذه العدسة، ونتصوَّر أنّنا نشاهد حقائق عالم الوجود كما هي وبدون أيِّ تغيير.

أَلَسْنا (ممثِّلين ومتفرِّجين في مسرحيّة الوجود الكبيرة)؟ إذاً فأنا الذي لَمْ أَستطِع حتّى اليوم أن أُميِّز الحدَّ الحقيقي الفاصِل بين عالَم الوجود والـ (أنا)، كيف يمكنني أن أدّعي أنّني عرفتُ العالَم ونفسي وأَدركتُ هويّة ما وراءهما؟

أضف إلى ذلك، أنَّ ظُلمة عالَم المادِّيّات، واختلاف الظَّواهر، وهَيْمنة الكمِّيّات والكَيفِيّات، واتّساع هذه الكائنات في نهر التَّكوين والعَدَم دائم الجَرَيان مِن جانبٍ، ونزاهة ذلك المَوجود العُلْوي ولُطْفه وقُرْبه من هذه الكائنات مِن جانبٍ آخَر، قد حَوَّل أَقرب الفواصِل إلى أبعد المسافات.

آهٍ ربّاهُ! إنّي ومِن أجل لقائك، أَنظُر إلى الجبال، إلّا أنَّ جاذبيّتها المادِّيّة تَحُول كَسَدٍّ حديديٍّ دون رقّة الرُّوح وعَظَمة غايَتِها.

بإمكان الجبال أن تَكشف لي مِن خلال خُطوطها عن رُسوب الأعصار والقرون الماضية، وبإمكان سُموقها أن يحكي لي عن عَظَمة حجمها. ولكن أين الجبال الشُّمُّ عن ساحة رُبوبيّتك؟

***

البحار أَعظم وأَروع، أُحاول أنْ أَنظر إليها علَّني أخطو خطوة إليك عبر امتدادها الواسع وأمواجها الهادِرة، إلّا أنَّ تموُّجاتها تتأثَّر بعواملها الطّبيعيّة، وبالرّغم من أنّ عَظَمة البحر تَكشف لنا عن حالة من الإستقلال -ونَنْسب إليه بلغة الأدب الوعي والإرادة في تقرير المصير-، لكنّنا عندما نَفرغ من التَّمثيل، نَجِد أنّنا قد اعْتَرانا الوَهْم حينما أَسْنَدْنا الإستقلال والإرادة إليه، بل قد يَطال هذا التَّوهُّم حتّى تلك القشّة التّافهة التي تَلعب بها أمواج البحر، فتَتَصوَّر أنَّ عظمة البحر وأمواجه المتلاطمة إنّما هي من أجلها!

نعم، فأنا أتوهَّم، والبحر يَتوهَّم، وتلك القشّة التّائهة تقع هي الأخرى فريسة أَوْهامها.

وبالرّغم من أنَّ البحار مشاهد عظيمة جداً، وأنَّ مشاهدتها تخلق لدينا حالة من الإثارة والهيجان لا يُمكن أنْ توصف؛ وأنّها تُجَسِّد بحلقات أمواجها المتَّصلة سلسلة الوجود، إلّا أنَّ للبحر جاذبيّة منظَّمة قابلة للتَّقسيم: قد يكون ساكناً، وقد يكون مائجاً، ويمكن أن يَتحوَّل إلى بخار يَتَبدَّد في الفضاء اللّامُتناهي.

إذاً ليس بإمكان البحر أن يَقودني إليك أيُّها الرّبُّ الذي لَمْ يَزَل ولا يَزال.

وأين هذه البِحار الواسعة الهادِرة عنْ حضرتك الرُّبوبيّة؟

***

أُحدِّق في الأزهار الجميلة الرَّقيقة، فتُداعب بَسماتها عيني، ورائحتها الزّكيّة شامّتي. إلّا أنَّ هذه الأزهار -وبالرَّغم ممّا تتمتَّع

به مِن رقَّة ونَضارة وجمال، وبالرّغم من قُربها مِن مشاعري وقلبي- تَضْحك من سذاجتي حينما أُريد أن أتَّخِذ منها طريقاً إليك، وتقول: إنَّ الجمال الذي تَبْحث عنه بحاجة إلى عينٍ أُخرى، لأنَّ هذه العين التي لديك لا يُمكنها أن تَتَجاوز بعض الكمِّيّات والنَّوعيَّات المحدَّدة، بل حتّى نحن لا نستطيع بعيوننا الملوَّنة المُحِبَّة للألوان أنْ نذهب لزيارته.

***

وأُحدِّق في الأشجار الخضراء والسُّهول والسُّفوح البَهيجة، وأُصيخ إلى صَمْتها الذي يَعزف أَروَع الألحان، فيَكشفُ حَفيفُها ومَيْسُها عن سِرِّ الوجود والأسرار الدَّقيقة، وتَنبعثُ في نفسي لذَّة وحَيْرة مُمتزجتَيْن بالوقار.

(أريدُ الذَّهاب إلى البستان بقلبٍ مُنقَبضٍ كالبُرعم * وأُمزّق هناك قميصاً مع شهرتي بالخير

قد أُفضي إلى الزَّهرة بالسِّرِّ كالنَّسيم * وقد أَسمع سِرّ الحُبِّ من البلابل) [مضمون بيتَي شعر بالفارسيّة لحافظ الشيرازي]

وحين أتذكَّر أنَّ خريفاً مُدمِّراً سَيَتْلو هذه الغَضاضة والنَّضارة، ويَرميها في صحراء الحياة بلا رَمقٍ ولا بُرْعُم، فتَتَحوَّل أناشيدها الحلوة المُمتزجة بتغاريد الطُّيور السَّاحرة إلى آهاتٍ خريفيّة؛ أُدركُ آنئذٍ أنَّني لَمْ أخطُ خطوة واحدة في الطَّريق، وأنَّني واقفٌ بِحَيرةٍ في النُّقطة التي بَدَأَتْ حركتي منها.

فأين الأزهار والأشجار الخضراء والعُشب الزَّاهي عن أعتابك الرُّبوبيّة؟

***

وأَنظر إلى نفسي وأَغوصُ إلى أعماق القلب والعقل والخيال والوَهْم، فأَجِدُ عالَماً أكبر من عالم الطبيعة. إنَّه عالَمٌ أَجمل وأَصلَب وأهمّ من العالَم الخارجي، لأنَّه عالَمي الخاصّ.

فهنا قاعدة الضَّمير. وهنا يُشاهَد إدراكُ الذَّات.

ومع هذا، فإنَّ انتخابي لهذه الحقائق طُرُقاً للسَّيْر والسُّلوك إليك، سَيَحُول دون حركتي إليك، بنفس مقدار حَيْلولة ظَواهِر العالَم الخارجي.

(إعلم أنّ وَهْمَنا وحِسَّنا وفِكرَنا وإدراكاتِنا * مثل مَرْكَبة الطِّفل التي يَصْنَعُها مِن القَصَب) [مضمون بيت شعر بالفارسيّة لمَوْلَوي]

الأُفُق اللَّامتناهي مُمتدٌّ أمام بَصَري بِنقاطه الذَّهبيّة، ويُحلِّق طائر الخيال السَّريع فيه بسرعة غير محدودة، ويَجتاز الأجْرام السَّماويّة بِخَفقةِ جناحٍ واحد، فيَرى اللَّانهاية ويَجُوبها. لكن هل يُصدِّق أحد أنَّ طائر الخيال السَّريع هذا لا زال حائطاً في تلك النُّقطة، ولم يَفتح جناحه ولم يُحلِّق؟ وأينَ الأُفق المُتمادي بِنِقاطه الذَّهبيّة عن عَرْشِك الرُّبوبي؟

(ربّاهُ إنِّي في دير الحيرة هذا * فقيرُ اليدَين ومملوُّ القلب) [مضمون بيت شعر بالفارسيّة للعطّار]

أيُّها الرَّبُّ الذي ليس كمثله شيء! إذا كان لدينا أَمَلٌ في لقائك مِن خلال كائنات الوُجود، أو الظَّواهر النَّفسيّة، فاعفُ عنّا عَفْوك عن ذلك الرَّاعي العاجز الذي رآكَ في هيئة موسى عليه السلام القويّ الضَّخم، واقبَلْنا قبولك لِلْمَعْزِ التي أهداها إليك.

يَفديك كلّ ما لديّ.. يا مَن إليك أنغامي.

وفي تلك اللَّحظات سَيَتَحوَّل اليأس والقنوط إلى سرورٍ وأملٍ، لأنَّنا نُدرك جيّداً أنَّ الطَّريق الوحيد الذي يؤدِّي إليك -وأقصَرها- هو الإشاحَة عن الطُّرُق الأخرى كافّة، وعَقْدُ العَزْم الحقيقي على زيارتك.

وإذا كان الطَّريق إليك قريباً وسهلاً إلى هذا الحدّ، فلماذا لا أَعقدُ العَزْم، وحينها سَأَرى نفسي وقد وَصَلَتْ إليك.

البعضُ يَبْحثُ عن كِتابكَ وكَلامِكَ، والبعضُ عن أزهارِكَ ووُرودِكَ. أمَّا الفئة المُطمئنَّة فَهِي تلك التي أَفْرَغَتْ قلبَها مِن كلِّ شيءٍ وتَبْحَثُ عنك.

أَللّهمَّ اسمَحْ لي أنْ أَركَعَ بين يدَيك لِلَحظات، وأُريقُ قَطَراتٍ مِن بَحر روحي على أعتابك. آهٍ أيُّها الأَقربُ منِّي إليّ، لقد أَنْهَكَني وأَضْناني تَصَوُّر البُعْد عن باب جمالك، لا الطَّريقُ ولا المسافة.

«**أَشهدُ أنَّ المُسافرَ إليك قريبُ المسافة**» الإمام زين العابدين عليه السلام، دعاء أبي حمزة.

***

شَمَمْتُ رائحتَكَ مِن طِينِ آدَم، وقطعتُ الطُّرُقَ وصولاً إليك. واليوم أَرى الجبال مثل الخيلان الجميلة على وَجَنات الطَّبيعة، وهي تَكشف عن جمالك الرَّائع اللَّامتناهي.

وأمواج البِحار الصَّاخبة تَعزف في أُذُني لحن سرّ الوجود. وأُمعِنُ النَّظر في الأزهار التي أَمْسَكَتْ بها أصابعُ قُدْرَتِك، وقَرَّبتها مِن مَشامِّ النَّاس.

وأرى تلك الأشجار الزَّاهية والعشب الأخضر، وهي تُكبِّر وتُسَبِّح. ويَزداد شَغَفي ووَجْدي وأنا أرى البَراعم والأوراق النَّضِرة الغَضَّة وهي تَنْحَني على بعضها كيْ تَطْبَع قُبلاتِها الحارَّة على الشِّفاه المُسَبِّحة، ثمّ تَرفع رؤوسها لِتَنْهَمِكَ في الذِّكْر والتَّسبيح من جديد. وأَغوصُ في أعماق القلب والعقل والخيال، فأُشاهد ضوءاً باهراً يشعُّ عليها، ويَنفَتح لي طريقٌ مُضيء يؤدِّي إلى سُوَيْداءِ القلبِ التي هي مكانك، وأَرى:

فهذا الفضاء والأُفُق الواسع بنقاطه الذَّهبيّة التي احتضنها، بإمكانه أنْ يَبْهر عيني باعتباره أعتاب جلالِكَ وجمالِكَ.